جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

أوجه البيان في مقدمتي "البيان والتبيين" للجاحظ (ت٢٥٥هـ) و"البرهان في وجوه البيان" لابن وهب الكاتب (ت٣٣٥هـ) دراسة وصفية موازنة

The Faces Of Explanation In The Introductions To "Al-Bayan Wa Al-Tabyin" By Al-Jahiz (D. 255 AH) And "Al-Burhan Fi Wujoh Al-Bayan"

إعداد

الباحث/ أبوبكر لبران موسى

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية،
جامعة الملك خالد

(العدد الرابع والأربعون)
(الإصدار الثالث-أغسطس)
(الجزء الثالث (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) (2536- 9083)

أوجه البيان في مقدمتي "البيان والتبيين" للجاحظ (ت٢٥٥هـ) و"البرهان في وجوه البيان" لابن وهب الكاتب (ت٣٣٥هـ) دراسة وصفية موازنة

أبوبكر لبران موسى

باحث دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد .

البريد الالكتروني:labaranabubakar25@gmail.com

الملخص

تهدف الدراسة إلى قراءة مقدمتي "البيان والتبيين" و"البرهان في وجوه البيان" لمعالجة إشكالية ذكرها ابن وهب، أن ثمت قصورا في مشروع الجاحظ حول وظيفة البيان، ويزيد هذا الموضوع أهمية في تناوله مقدمتين مهمتين في الأدب العربي، كما اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي القائم على الموازنة، وقُسمت الدراسة إلى تمهيد ومقدمة ومبحثين ثم الخاتمة. تناولت في التمهيد نبذة مختصرة عن الجاحظ وابن وهب الكاتب وقيمة مقدمتيهما الأدبية، أما المبحث الأول؛ فدار حول مفهوم البيان وأوجهه عند الجاحظ وابن وهب، وحاولت الدراسة في المبحث الثاني تقديم موازنة بين أقسام البيان عند الجاحظ وأوجهه عند ابن وهب، وتخلصت في الخاتمة إلى ذكر أهم النتائج وهي؛ استدراك ابن وهب على الجاحظ في أقسام البيان، ورجوع ابن وهب إلى المرجعية الأصولية والمنطقية في التقسيم.

الكلمات الافتتاحية: أوجه البيان، البيان والتبيين، وجوه البيان," دراسة تحليلية.

The Faces of Explanation in The Introductions To "Al-Bayan Wa Al-Tabyin" By Al-Jahiz (D. 255 AH) And "Al-Burhan Fi Wujoh Al-Bayan" By Ibn Wahb Al-Katib (D. 335 AH) A Descriptive And Comparative Study

Abubakar Labaran Musa
PhD researcher in the Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities, King Khalid University
Email : labaranabubakar25@gmail.com

Abstract :

The study aims to read my introductions "Al-Bayan wa al-Tabyin" and "Al-Burhan fi Wujuh al-Bayan" to address the problem mentioned by Ibn Wahb, that there is a shortcoming in Al-Jahiz's project on the function of eloquence, and this topic gains importance in addressing two important introductions in Arabic literature. The study relies on a descriptive approach based on comparison and is divided into a preface, an introduction, two chapters, and a conclusion. The introduction provides a brief overview of Al-Jahiz and Ibn Wahb, the writer, and the value of their literary introductions. The first section

revolves around the concept of rhetoric and its aspects in Al-Jahiz and Ibn Wahb. The second section attempted to compare the sections of eloquence in Al-Jahiz and its aspects in Ibn Wahb. The conclusion summarized the most important results, which were Ibn Wahb's correction of Al-Jahiz in the sections of eloquence and Ibn Wahb's return to the fundamental and logical reference in the division.

Keywords: Aspects of statement, statement and clarification, for the aspects of statement, a study,

مقدمة

تعدّ مقدمات المتقدمين لمشروعاتهم العلمية ذخيرة معرفية وحقل علمي خصب في شتى المجالات، إذ إنها عتبات يستكشف بها القارئ أغوار المعارف ويصل بها أعماق الفنون، فقد تجلى في مقدمة ابن وهب الكاتب في كتابه "البرهان في وجوه البيان" تساؤلات تستدعي البحث وموازنتها بمقدمات أخرى سلكت نفس المسلك، لتصل الدراسة إلى إجابة مقنعة، ومعرفة راسخة، مما جعل الدراسة توازن بين ما ذكره ابن وهب عن أوجه البيان وما تفضل به الجاحظ عن أقسام البيان العربي، للكشف عن أوجه التوافق والاختلاف بينهما.

الدراسة السابقة:

د. وضحى يونس- إلهام جحجاح، أقسام البيان بين الجاحظ وابن وهب،جامعة تشرين ورقة بحثية، مجلد(٣٩)، عدد(٤)،٢٠١٧م. قارنت الدراسة بين أقسام البيان عند الجاحظ وابن وهب للوصول إلى أوجه التشابه بين التقسيمين، بينما دراستي تتجه إلى مقدمتي "البيان والتبين" للجاحظ و"البرهان في وجوه البيان" لابن وهب لمقارنتهما مركزة على ما ذكره ابن وهب في المقدمة عن أوجه البيان، وما ألمح إليه الجاحظ عن عيوب البيان.

منهج البحث:

ستوظف الدراسة المنهج الوصفي القائم على الموازنة، بحيث تذكر الظاهرة ثم توازنها للكشف عن أوجه التوافق والاختلاف بينها، واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون على الشكل الآتي:

التمهيد: نبذة مختصرة عن الجاحظ وابن وهب الكاتب وأهمية مقدمتيهما، وتحته ثلاثة نقاط:

- نبذة مختصرة عن الجاحظ
- نبذة مختصرة عن ابن وهب الكاتب
- القيمة العلمية لمقدمتيهما في البيان والتبين والبرهان عن وجوه البيان

المبحث الأول: البيان وأسسه في مقدمتي "البيان والتبين" وكتاب "البرهان"، وتحته ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: مفهوم البيان العربي
- المطلب الثاني: البيان وأسسه عند الجاحظ
- المطلب الثالث: البيان وأنواعه عند ابن وهب الكاتب

المبحث الثاني: موازنة بين أنواع البيان وأسسه عند الجاحظ وابن وهب، وتحته أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان الاعتبار**
- **المطلب الثاني: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان الاعتقاد**
- **المطلب الثالث: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان العبارة**
- **المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان الكتابة**

الخاتمة: **وفيها أهم النتائج والتوصية.**

التمهيد

نبذة مختصرة عن الجاحظ وابن وهب الكاتب وأهمية مقدمتيهما

الجاحظ شخصية أدبية بارزة وسيرته الذاتية مبثوثة في كتب التراجم قديماً وحديثاً، فلا داعي لطول النفس في سرد سيرة حياته لأن الدراسة قد تعجز أن تأتي بجديد لم تسبق إليه، وتتكفي بتقديم نبذة وجيزة عنه.

إنه الأديب الأريب والمتفنن المجيد، "العلامة، المتبحر، ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، المعتزلي، صاحب التصانيف".[١] قال عنه صاحب معجم المؤلفين: "المعروف بالجاحظ (أبو عثمان) عالم، أديب، سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن، وأخذ الكلام عن النظام، وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد، وتنسب إليه الفرقة الجاحظية، وأقام مدة ببغداد".[٢]

أقوال العلماء عنه وعن تصانيفه:

نقلت إلينا الروايات والكتب عن هذه الشخصية ومكانتها العلمية وما وجّهت إليها من انتقادات، وفي الوقت نفسه لا يحط هذا من قدره ولا من صفاء عقله وسعة علمه، والإنسان كائن ناقص يصيب ويخطأ، وهذه الدراسة تذكر بعض ما قاله العلماء عن مكانته العلمية.

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ٥٢٦/١١

(٢) كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، (بد.ط)، دار إحياء التراث العربي بيروت، (بد.ت)، ٧/٨

قال أبو العباس المبرد: "ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ... فإنه كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، أي كتاب كان"[١] وهذه دلالة على شغفه بالعلم، ويدل على سعة علمه وتطرقه في تأليفاته للفنون المختلفة ما قاله الذهبي: " قلت: كان من بحور العلم، وتصانيفه كثيرة جدا."[٢]

وكثرة التواليف غالباً سمة لسعة العلم والمعرفة، فقد كان له تصانيف كثيرة في مجالات مختلفة الفكرية منها والأدبية، قال عنه الدّاوودي "صاحب التصانيف التي منها كتاب (نظم القرآن) وكتاب (المسائل في القرآن)"[٣] ولا شك أن هذه الكتب تعد مرجعاً فكرياً له، ومنها (الرد على أصحاب الإلهام)، و(الرد على المشبهة)، و(الرد على النصارى)، (الطفيلية)، (فضائل الترك)، (الرد على اليهود)، (الوعيد)، (الحجة والنبوة)، (المعلمين)، (البلدان)، (حانوت عطار)، (ذم الزنى)، وأشياء.[٤] إنه لا شك بحر في العلم، وعناوين كتبه المذكورة تثبت ذلك.

وقد توفي بالبصرة سنة خمسين ومئتين، وقيل سنة خمس وخمسين ومئتين أو ست وخمسين، وجَاوز التسعين من العمر، ومات والكتاب على صدره.[٥]

---

(١) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق، تح: روحية النحاس، ط١، دار الفكر للطباعة، دمشق – سوريا، ١٩٨٤م، ٢٥٢/٢٠، والكتبي، محمد ابن شاكر، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، ط١، دار صادر – بيروت، ١٩٧٤م، ١٧٧/٣

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٢٧/١١

(٣) الداوودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، (ب.ط)، دار الكتب العلمية – بيروت، (ب.س)، ١٦/٢

(٤) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٣٠/١١، الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ٧٤/٥

(٥) ينظر: العسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، ط٢، مؤسسة الأعلمي بيروت – لبنان، ١٩٧١م، ٣٥٥/٤، ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد، طبقات علماء الحديث، تح: أكرم البوشي، ط٣، ←←←

ابن وهب الكاتب:

هو أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب فقيه شيعي إمامي، ومن هنا جاء اهتمامه بنقل أقوال أئمة الشيعة وذكره لهم دائما عند كل استشهاد، كان من أسرة "آل وهب" وهي أسرة كانت تحترف الكتابة في الدواوين العباسية منذ عصر المأمون، وسليمان -جَدّ ابن وهب- من الكتّاب الذين وزّروا للخليفتين المهتدي بالله والمعتمد على الله.(١)

وتدل الدراسات إلى معاصرته بقدامة بن جعفر وعبد الله بن المعتز في القرن الثالث الهجري، وقد عاش ابن وهب معظم حياته في القرن الرابع، إذ أن جده -سليمان- توفي سنة ٢٧٢هـ.(٢) وأشهر كتب ابن وهب (البرهان عن وجوه البيان)، ولم تقف الدراسة على غير المذكور من التصانيف، ولا عن تفاصيل ترجمته.

القيمة العلمية لمقدمتي "البيان والتبين" وكتاب "البرهان عن وجوه البيان":

لا شك أنّ مقدمات الكتب عموماً ومقدمتي "البيان والتبين" و "البرهان عن وجوه البيان" على وجه الخصوص تعد حقولا علمية مميزة وغنيمة معرفية صافية، إذ هي

←←←

مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٩٩٦م، ٢/٢٢٤، العسقلاني، تهذيب التهذيب، ط٢، جمعية دار البر – الإمارات العربية المتحدة، دبي، ٢٠٢١م، ١/١٧٠، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل (ب. ط)، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا، (ب.س)، ٢/٢٢٨، الزركلي، الأعلام، ٥/٧٤.

(١) مسترجع بتصرف من الرابط، https://arabic-keyboard.info/books، بتاريخ: 06/12/2024، الساعة السابعة مساء، وينظر: رسالة ماجستير، مفهوم الشعر عند ابن وهب الكاتب، للطالبتين؛ فورار تفاحة وكرباح حبيبة، مقدمة إلى جامعة ابن خلدون -تيارت- بالجمهورية الجزائرية، ٢٠١٩م، ص٣٨-٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص٣٩

عتبات يصل من خلالها القارئ إلى أغوار المعارف وأعماق الفنون، ومقدمات الكتب على حسب، منها؛ الطويلة المتضمنة لموضوعات مختلفة، فيجد فيها القارئ المتأمل موضوعات تستحق الداسة، ومن بين هذه المقدمات؛ مقدمة ابن وهب الكاتب في كتابه " البرهان عن وجوه البيان" والقليلة المباني كثيرة المعاني، يتمثل في مقدمة الجاحظ لكتاب "البيان والتبيين"، وستتناول هذه الدراسة المقدمتين لإبراز قيمتها وخصائصها العلمية.

أما مقدمة الجاحظ فقد كانت في أسطر قليلة، لكنها تحمل في طياتها نفائس علمية؛ وقد سبقت الإشارة إلى أنواع مقدمات الكتب.

افتتح الكاتب بقوله: " اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول، كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلّف لما لا نحسن، كما نعوذ بك من العُجْب بما نحسن، ونعوذ بك من السَّلاطة والهَذَر، كما نعوذ بك من العيّ والحصر"(١)

نلاحظ في هذه الأسطر القليلة قيمة أدبية ونقدية وبلاغية، فإن تعوذه من فتنة القول دلالة على ما سيحشد به كتابه من نصوص أدبية شعرا ونثرا معلقاً عليها وإبراز ما تحتويها من جمال فني ومكامن جمالية، والمتلقي لكتاب الجاحظ يستشعر أنه أمام مشروع فريد من نوعه عظيم في ذاته، وسبق الكلام عن شهادة العلماء لسعة علم المؤلف، وإن دلّ على شيء فإنما يدل على شأن هذا الكتاب.

وثمة ملاحظة في مقدمة الجاحظ أنه أورد الكلام في مقدمته عن البيان العربي، بأسلوب ذكر الشيء ويراد ضده، فاكتفى بذكر آفات اللسان أو البيان التي تنفي عن المتكلم البيان والتبين، وكأن الجاحظ أورد ذلك في المقدمة تلميحاً إلى ما قصده في مشروعه، ما يزيد المتلقي همة في بلوغ مبتغاه والاستفادة منه.

---

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط١، مكتبة ابن سينا- القاهرة، ٢٠١٠م، ٢٣/١

استخدم أسلوب الوجازة في المقدمة، جذباً لانتباه المتلقي عن مشروعه، فلم يطل الكلام في المقدمة ليترك مجال التأويل للمتلقي، لأن ثمة تساؤلات تطرح، لماذا مقدمة البيان والتبين في هذه الوجازة؟ لماذا لم يفصّل لمشروعه في مقدمته؟ لماذا ولماذا؟ فالمتلقي جزء لا يستهان به، وهذا مما أكسب لمشروعه هذه الصورة الشيقة والممتعة.

وأما مقدمة ابن وهب فتختلف عن مقدمة الجاحظ في طريقة الصياغة، لأنها تشتمل على خصائص لم تكن موجودة عند الجاحظ، من ذكر سبب تأليف الكتاب والدافع إليه، كما أشار إليه في أول المقدمة " وسألتني أن أذكر جملاً من أقسام البيان آتية على أكثر أصوله"[١] وهذه الجملة من الكلام ذكرها ابن وهب إعلاما على سبب تأليفه للكتاب، مما يترتب على ذلك؛ إجابة السائل على قدر القدرة، وحتى لا يغيب هذا السبب عن الناقد حينما ينقد.

تشكلت شخصية ابن وهب – خلال مقدمته – في صورة أديب وناقد، وبلاغي بارع، بعباراته الأدبية واستشهاداته الرائعة شعرا ونثراً، كما أشار إلى منهجه في ترتيب مادة الكتاب، بأسلوب جميل تخرج من قراءتك للمقدمة مستوعباً ما بين دفتي الكتاب.

من خصيصة مقدمة ابن وهب إشارة المقدمة إلى تعدد الثقافات، لم يقتصر في الاستشهاد على الثقافة العربية فحسب، كما نلاحظ في قوله: "وقال بعض الفلاسفة: الأصدقاء نفس واحدة في أجساد متفرقة"[٢]

---

(١) ابن وهب الكاتب، إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تح: د. حفني شرف، (ب.ط)، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٤٩

(٢) المرجع السابق، ص٥٠

أطر ابن وهب مقدمته بتمهيد رائع عن أفضلية الإنسان على سائر الحيوان بالعقل، وأن العقل موهوب ومكسوب[١] وأسهب في البيان عن قسمي العقل مع ذكر الشواهد من الآيات القرآنية وغيرها، وهذا من باب الانطلاق من الكل إلى الجزء، لأنه أراد أن يمهد لكلامه عن البيان وأقسامه.

ومما يدل على شمولية مقدمة ابن وهب ذكر وجوه البيان تمهيدا لما يقدم إليه من البيان الشامل لأوجه البيان المتمثلة في:

١- "بيان الأشياء بذواتها، وإن لم تبين بلغاتها؛

٢- البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب.

٣- البيان باللسان

٤- البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد وغاب"[٢]

خلال هذا الطرح الموجز للقيمة العلمية والخصائص المنهجية لمقدمتي "البيان التبين" وكتاب "البرهان في وجوه البيان" ندرك أن مقدمات الكتب لها قيمة وأهمية كبيرة لا يستهان بها، وتفتح للمتلقي آفاقاً معرفية واسعة، وقراءة مقدمات الكتب وموازنتها توصل القارئ إلى معارف جديدة ودرر علمية جسيمة.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٥٣

(٢) البرهان في وجوه البيان، ص ٥٦

المبحث الأول

البيان في المقدمتين

مفهوم البيان العربي:

تدل مفردة البيان في المفهوم المعجمي على الوضوع والشرح، قال صاحب مختار الصحاح "بَانَ الشَّيْءُ يَبِينُ بَيَانًا اتَّضَحَ فَهُوَ بَيِّنٌ، وَكَذَا أَبَانَ الشَّيْءُ فَهُوَ مُبِينٌ وَ أَبَنْتُهُ أَنَا أَيْ أَوْضَحْتُهُ وَاسْتَبَانَ الشَّيْءُ ظَهَرَ وَاسْتَبَنْتُهُ، أَنَا عَرَفْتُهُ وَ تَبَيَّنَ الشَّيْءُ ظَهَرَ"(١)

كما أن دلالة المفردة عند بن فارس تدل على البعد والانكشاف قال: "بَيْنَ الْبَاءُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بُعْدُ الشَّيْءِ وَانْكِشَافُهُ"(٢) وقد يكون هذا من باب تسمية الشيء بضده كما هو معروف في اللغة العربية، فيفيد هذا المعنى ضمنياً الوضوح والظهور لأن ظهور الشئ يكون بانفصاله وبعده عما حوله.

فقد أشار إلى هذا المفهوم ابن منظور في مادة (ب. ي. ن) "البَيْنُ في كلامِ العرب جاء على وجْهَين: يكون البَينُ الفُرْقةَ، ويكون الوَصْلَ، بانَ يَبِينُ بَيناً وبَيْنُونةً، وهو من الأَضداد؛ وشاهد البَين الوَصل قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لَقَدْ فَرَّقَ الواشِينَ بَيْنِي وبينَها ... فقَرَّتْ بِذاكَ الوَصْلِ عَيْنِي وعينُها"(٣)

---

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ط٥، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، ١٩٩٩م، مادة (ب ي ن)

(٢) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ب.ط)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، مادة (ب. ي. ن)

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤هـ، مادة (ب. ي. ن)

وتدل أيضا على الظهور والإفصاح عن شيء كما في المعجم الوسيط "والشَّيْء بَيَانا ظهر واتضح أو ظهر واتضح وَفُلَان أفْصح عَمَّا يُرِيد"(١) وبمعنى الإيضاح كما في الآية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ (٢)

والبَيانُ: مَا بُيِّنَ بِهِ الشيءُ مِنَ الدَّلَالَةِ وغيرِها. وبانَ الشيءُ بَياناً: اتَّضَح، فَهُوَ بَيِّنٌ، وَالْجَمْعُ أَبْيِناءُ، مِثْلُ هَيِّنٍ وأَهْيِناء، وَكَذَلِكَ أَبانَ الشيءُ فَهُوَ مُبينٌ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

لَــوْ دَبَّ ذَرٌّ فــوقَ ضــاحِي جلــدِها لأَبـــانَ مِـــنْ آثـــارِهِنَّ حُـــدورُ

والتِّبْيان: مصدرٌ، وهو شاذٌّ لأن المصادرَ إنما تَجِيءُ على التَّفْعال، بفتحِ التَّاءِ، مثال التَّذْكار والتَّكْرار والتَّوْكاف، ولم يجيءْ بالكسرِ إلا حرفانِ وهما التِّبْيان والتِّلقاء. ومنه حديثُ آدم وموسى، على نبينا محمدٍ عليهما الصلاة والسلام: "أَعطاكَ اللهُ التوراةَ فِيهَا تِبْيانُ كلِّ شيءٍ"(٣) أَي كشْفُه وإيضاحُه، وَهُوَ مَصْدَرٌ قَلِيلٌ لأَن مصادرَ أَمثاله بِالْفَتْحِ.

وَيُقَالُ: بانَ الحقُّ يَبينُ بَياناً، فَهُوَ بائنٌ، وأَبانَ يُبينُ إِبَانَةً، فَهُوَ مُبينٌ، بِمَعْنَاهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢﴾ (٤) أي والكتابِ البيّن، وقيل: معنى "الْمُبِينِ" الذي أَبانَ طرقَ الهُدَى من طُرُقِ الضلالة وأَبان كلَّ مَا تحتَاج إليه الأمة؛ وقال الزَّجَّاجُ: بانَ الشيءُ وأَبانَ بمعنى واحدٍ.

---

(١) المعجم الوسيط، ط٢، دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، ١٩٧٢م، مادة (بان وأبان).

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٤

(٣) سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، تح: فريق من الباحثين، ط١، دار الألوكة للنشر- الرياض-، ٢٠٢١م، ٢٧٩/٦، (رقم: ١٤٣٩)

(٤) سورة الدخان، آية: ١-٢

وَقَوْلُهُ عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[١] أَي بُيِّن لك فيه كلُّ ما تحتاج إليه أنت وأمتُك من أَمر الدِّين، وهذا من اللَّفْظِ العامِّ الذي أُريد به الخاصُّ، والعربُ تقول: بَيَّنْت الشيءَ تَبْييناً وتِبْياناً، بكسر التاء، وتِفْعالٌ بكسر التَّاءِ يكون اسْمًا.

والبَيانُ: الفصاحةُ واللَّسَن، وكلامٌ بيّن فصيح، والبَيان: الإفصاح مَع ذَكاءٍ. والبَيّن مِنَ الرِّجَالِ: الْفَصِيحُ، والبَيّن مِنَ الرِّجَالِ السَّمْح اللِّسَانِ الفصيحُ الظَّرِيفُ العالِي الكلامِ القلِيلُ الرتَج، وفلانٌ أَبْيَن مِنْ فُلَانٍ أَي أَفصح مِنْهُ وأَوضح كَلَامًا.[٢] فالمعاني المعجمية لمفردة البيان تدل على القدرة في الإفصاح والإبانة عن المعاني المخبوءة في النفس، فمن لا يمتلك القدرة على الإفصاح فيما يحتاج إلى الإفصاح والوضوح فهو عيّ.

أورد الجابري ملخصاً جيداً عقب كلامه عن مفهوم المعجمي لكلمة البيان قائلا أن "البيان في إطاره المرجعي اللغوي الأصلي يفيد الفصل والانفصال، والظهور والإظهار... وترتيب معاني البيان على أساس التمييز بين المنهج والرؤية في النظام المعرفي البياني؛ فالبيان كمنهج يفيد الفصل والإظهار، والبيان كرؤية يفيد الانفصال والظهور"[٣]

إن المفهوم الاصطلاحي لمفردة البيان لم تتشكل لدى البلاغيين فقط، فقد أطلق الجابري مصطلح "البيانيين" على "جميع المفكرين الذين انتجتهم الحضارة العربية الإسلامية والذين كانوا يصدرون في رؤاهم وطريقة تفكيرهم عن الحقل المعرفي الذي بلورته وكرسته العلوم العربية الإسلامية الاستدلالية الخالصة، وهي النحو والفقه

---

(١) سورة النحل، آية: ٨٩

(٢) لسان العرب، مادة (ب.ي.ن)

(٣) الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، ط١، بيروت – جزيران–، ١٩٨٧م ص٢٠

والكلام والبلاغة"[١] فالاهتمام بالبيان العربي لم يقتصر على البلاغيين دون سواهم من حقول معرفية أخرى كالفقه وغيره.

إذن، فالمفهوم الاصطلاحي للبيان تشكل بدءا عند الإمام الشافعي حيث عرفه بقوله: "والبيان اسم جامع لمعاني مجتمعةِ الأصول متشعبةِ الفروع، فأقلُّ ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة أنها بيانٌ لمن خوطب بها ممن نزل القُرَآن بلسانه متقاربة الاستواء...ومختلفةٌ عند من يجهل لسان العرب"[٢] فبهذا القفز من مجرد الظهور والافصاح إلى أنه اسما جامعا لمعاني من أصول واحد، وأن إدراك هذه المعاني المتشعبة مقتصرة على العارف بأساليب اللغة العربية، نعتبر إذن، الشافعي بهذه القفزة واضع الأول لقوانيين تفسير الخطاب.[٣]

لقد كان اهتمام الجاحظ بالبيان العربي بالنظر إلى الأساليب البيانية في الخطاب القرآني، حيث ألف في ذلك كتاب "نظم القرآن" وكتاب "آي القرآن" واقفاً "فيها مع آيات من القرآن يشرح مكامن البيان والبلاغة فيها وطرقها في الدلالة على المعنى"[٤] جاء تعريف الجاحظ للبيان بأنه: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن

---

(١) المرجع السابق، ص١٣

(٢) الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تح: أحمد شاكر، ط١، مصطفى البابي الحلبي وأولاد – مصر، ١٩٣٨م، ص٢١

(٣) ينظر: بنية العقل العربي، ص٢٤

(٤) المرجع السابق، ص٢٥

المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[١] فالمتأمل في المفهومين للبيان يلحظ أن تعريف الشافعي اتجه إلى المتكلم فقط، بينما تعريف الجاحظ اهتم بالمتلقي أو القارئ، وعلى هذا الأساس سمى كتابه المشهور بـ"البيان والتبين" ويحصل البيان عند الجاحظ بأي دلالة لفظية كانت أو غير اللفظية، لذلك أورد في الكتاب المذكور أوجه البيان الذي يأتي الكلام عنه لاحقا.

أدوات البيان عند الجاحظ:

للجاحظ في تعريفه السابق للبيان تلميح للأدوات التي لا يتم البيان إلا بها، وقد أشار إليها قائلا: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة؛ والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات"[٢] ثم أتبع ببيان هذه الأدوات على حدة، وستذكر الدراسة مفاهيمها كما عند الجاحظ في البيان والتبيين:

اللفظ: معناه "أن تَرمِيَ بشيءٍ كان في فيك، والفعلُ لَفَظَ يَلْفِظُ لَفْظاً، والأرض تَلْفِظُ الميّتَ أي ترمي به، والبحر يَلفِظُ الشَّيْءَ يرمي به إلى الساحِلِ، والدُّنيا لافِظةٌ تَرمي بمَن فيها إلى الآخرة"[٣]

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط١، مكتبة ابن سينا- القاهرة، ٢٠١٠م، ٨٦/١

(٢) البيان والتبيين، ٨٢/١

(٣) الفراهيدي، خليل بن أحمد، العين، تح: المخزومي والسامرائي، (ب.ظ)، دار ومكتبة الهلال، ١٤٣١هـ، مادة (ظ. ل. ف)

الإشارة: "فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجرا، ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا..." إلى أن أورد قول الشاعر:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم"[١]

الخط: فمما ذكر الله عز وجل في كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب، قوله لنبيه عليه السلام: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾[٢] وأقسم به في كتابه المنزل، على نبيه المرسل،[٣] حيث قال تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ ﴾[٤]

العقد: وهو "الحساب دون اللفظ والخط، والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة"[٥] فالدليل على فضيلته، وعظم قدر الانتفاع به قول الله: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٩٦ ﴾[٦]

النصبة: "فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق،

---

(١) المرجع السابق، ٨٣/١

(٢) سورة العلق، آية: ٣-٥

(٣) البيان والتبيين، ٨٥/١

(٤) سورة القلم، آية:١

(٥) البيان والتبيين، ٨٥/١

(٦) سورة الأنعام، آية:٩٦

فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان، ولذلك قال الأوائل: سل الأرض فقل: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا"(١)

وهذه الأدوات كما سماها الجاحظ، إنما يتم البيان بأحدها أو بعدد منها، فكلما أفهمت المتلقي وأقنعته بتوظيفك واحد من الأدوات يعتبر هذا بياناً.

والدراسة تتطرق بالحديث عن البيان وأنواعه عند ابن وهب الكاتب في كتابه البرهان عن وجوه البيان، ثم تقارن بين أدوات البيان عند الجاحظ وأوجه البيان عند ابن وهب.

أنواع البيان عند ابن وهب الكاتب:

حدد ابن وهب في مقدمته أوجه البيان فمنه بيان الأشياء بذواتها، وإن لم تبن بلغاتها؛ ويسمي هذا النوع بـــ "بيان الاعتبار" ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب، والذي يسميه "بيان الاعتقاد" ومنه البيان باللسان ويسميه بـــ "بيان العبارة" ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد وغاب، ويسميه بن وهب "بيان الكتاب"(٢)

هذه الأوجه الأربع هي التي سماها ابن وهب أوجه البيان، التي تتحقق الوظيفة البيانية بها، وقبل أن تنطلق الدراسة إلى أوجه التوافق والاختلاف بين هذه الأنواع وما عند الجاحظ من أنواع البيان يُسلط الضوء على هذه الأوجه الأربع على النحو الآتي:

---

(١) البيان والتبيين، ٨٦/١

(٢) ينظر: البرهان في وجوه البيان، ص٥٦

بيان الاعتبار: هو بيان الحال، بمعنى حال الأشياء: فـــ"إن الأشياء تبين بذواتها لمن تبين، وتعبر بمعانيها لمن اعتبر"[١] وهو نوعان: ظاهر وباطن و"الظاهر من ذلك ما أدرك بالحس كتبيننا حرارة النار، وبرودة الثلج على الملاقاة لهما" أو ما يدركه العقل "مثل تبيننا أن الزوج خلاف الفرد، وأن الكل أكثر من الجزء" ثم الباطن الذي هو "ما غاب عن الحس، واختلفت العقول في إ ثباته"[٢]

بيان الاعتقاد: إن الأشياء إذا تبينت بذواتها للعقول، وترجمت عن معانيها للقلوب، صار ما ينكشف المتبين من حقيقتها معرفة وعلماً مركوزين في نفسه. وهذا البيان على ثلاثة أضرب: فمنه حق لا شبهة فيه، ومنه علم مشتبه يحتاج إلى تقويته بالاحتجاج فيه، ومنه باطل لا شك فيه.[٣]

بيان العبارة: فأما البيان بالقول، فهو العبارة، وقد قلنا: إنه يختلف باختلاف اللغات وإن كانت الأشياء المبين عنها غير مختلفة في ذواتها، وإن منه ظاهراً وإن، منه باطناً، وأن الظاهر منه غير محتاج إلى تفسيره، وإن الباطن هو المحتاج إلى التفسير، وهو الذي يتوصل إليه بالقياس والنظر والاستدلال والخبر.[٤]

بيان الكتاب: وهذا الوجه الرابع من وجوه البيان، "والكتاب يقرأ بكل مكان، ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوز إلى من بعده"[٥] فهذه إشارة إلى أن الكتابة وسيلة لنقل الأفكار والآراء، وقسم الكتاب إلى خمسة أقسام باعتبار

---

(١) البرهان في وجوه البيان، ص٦٥

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٦٥

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٨٦

(٤) المرجع السابق، ص٩٢

(٥) المرجع السابق، ص٢٥٥

الاختصاص:" كاتب خط، وكاتب عقد، وكاتب حكم، وكاتب تدبير؛ وكاتب لفظ ولكل واحد من هؤلاء مذهب من الكتابة يخالف مذهب غيره.[١]

بهذا، يكون قد انتهى ابن وهب في عدّ أوجه البيان وما تتضمن من المعاني والمفاهيم، وفي المبحث القادم الموازنة بين الأوجه المذكورة عند ابن وهب، وأنواع البيان عند الجاحظ.

(١) البرهان في وجوه البيان، ص٢٥٦

المبحث الثاني

الموازنة بين أنواع البيان وأسسه عند الجاحظ وابن وهب:

يسعى هذا المبحث للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف بين أنواع البيان عند الجاحظ وابن وهب الكاتب، كما ذكر ابن وهب في مقدمة كتابه أن سائلا سأله بأن يفصّل له الكلام في البيان، وأن ما كتبه الجاحظ " لم يأت فيه وظائف البيان، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان، فكان عند ما وقفت عليه، غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب إليه، وسألتني أن أذكر جملاً من أقسام البيان آتية على أكثر أصوله، محبطة بجماهير فصوله، يعرف بها المبتدى معانيه، ويستغنى بهذا الناظر فيه، وأن أختصر ذلك لئلا يطول به الكتاب"[١] فستتبع الدراسة هذا القول بغية الوصول إلى حقيقة قول السائل ومحاولة ابن وهب في الإضافة لما قدمه الجاحظ عن البيان العربي.

فعلى حسب الرأي السابق فإن ابن وهب أراد أن "يدرس البيان دراسة منظمة تعتمد بناء الموضوع على أصول وفروع وبطريقة تقريرية، طريقة الأصوليين من فقهاء ومتكلمين وليس بطريقة البيانية كما فعل الجاحظ"[٢] وكما يشكل كلام ابن وهب وعيا بالصراع الحاصل بين النحاة والمناطقة في عصره وقد عكس ذلك بجلاء في مقدمة كتابه.

إن مشروع ابن وهب كما أشار في المقدمة يهدف إلى أن "يجمع شتات البيان وينظم مسائله ليظهره كنظرية عامة في المعرفة، بيانية المضمون والاتجاه"[٣] ويدل

---

(١) البرهان في وجوه البيان، ص٤٩

(٢) بنية العقل العربي، ص٣٣

(٣) المرجع السابق، ص٣٣

هذا على أنه سعى في مشروعه إلى جمع "نتائج أعمال البيانيين السابقين والمعاصرين أمثال الجاحظ"[١] ليس أنه هو الأسبق في وضع أدوات البيان العربي.

انطلق ابن وهب في المقدمة بذكر أوجه البيان كما أشارت الدراسة في المبحث السابق، إلا أن هناك تداخل بينها وبين أنواع البيان عند الجاحظ، وبعبارة أخرى وكأن ابن وهب أعاد تنظيم أنواع البيان عند الجاحظ بطريقة منطقية كما يأتي توضيح ذلك في الفقرات الآتية:

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان الاعتبار:

بيان الاعتبار: هو مقابل النصبة عند الجاحظ: " والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات..."[٢] وعند ابن وهب هو بيان الحال، بمعنى حال الأشياء: فـ"إن الأشياء تبين بذواتها لمن تبين، وتعبر بمعانيها لمن اعتبر"[٣]

فالملاحظ في بين بيان الاعتبار والنصبة عند الجاحظ يرى الفارق بينهما في تقسيم ابن وهب إلى ظاهر وباطن، "إن الظاهر من ذلك ما أدرك بالحس كتبيننا حرارة النار، وبرودة الثلج على الملاقاة لهما، أو ما أدرك بنظره العقل التي تتساوى العقول فيها مثل تبيننا أن الزوج خلاف الفرد، وأن الكل أكثر من الجزء"[٤] فمقصوده بالظاهر لم يخرج من إطار مفهومه البياني، رغم معتقده الشيعي فلا يقصد بالباطن والظاهر غير ما تحمله المفردات من المعاني البينة، كما في أمثلته بحرارة النار وبرودة الثلج،

---

(١) المرجع السابق، ص٣٣

(٢) البيان والتبيين، ٨٢/١

(٣) البرهان في وجوه البيان، ص٦٥

(٤) المرجع السابق، ص٦٥

فإن الواقع يقتضي وقوعه ويُحس بأحد الحواس، بل تتفق العقول السليمة على إثباته.

بينما الباطن فهو"ما غاب عن الحس، واختلفت العقول في إثباته" هو "المحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال، ويعتبر بوجوه المقاييس والأشكال"(١) لعدم ظهوره على أرض الواقع، وإنما يستعان بطريقة أو بأخرى في إثبات وقوعه، وذلك بـ"القياس، والخبر، وحجتنا في القياس أن الله عز وجل قال ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾(٢) قال ابن عاشور في تفسيره " وَقَدِ احْتَجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ لِإِثْبَاتِ حُجِّيَّةِ الْقِيَاسِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ مِنْ الِاعْتِبَارِ"(٣) فهذا قياس مبني على الوصف، أي اعتبروا بما قد وقع ولو لم تشاهد ذلك حواسكم، ثم الخبر الذي يوجب إقامة الحجة للغائب، قال ابن وهب: "فحجتنا فيه من الكتاب قول الله عز وجل:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٤٣﴾(٤) ولم يكن ليأمر بمسألتهم إذا لم يعلم، إلا وأخبارهم تفيدنا علماً وتزيل عنا شكاً"(٥)

إن مفهوم ابن وهب لبيان الاعتبار لا يخرج عن مفهوم الجاحظ للنصبة، إلا أن وجه الاختلاف بين المفهومين هو الترتيب المنطقي الذي عمد إليه ابن وهب لتوضيح مقصوده لبيان الاعتبار، ومقصودهما أن البيان حاصل بغير اللفظ والكتابة،

---

(١) المرجع السابق، ص٦٥

(٢) سورة الحشر، آية:٢

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، (ب.ط)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م، ٧٢/٢٨

(٤) سورة النحل، آية:٤٣

(٥) البرهان في وجوه البيان، ص٦٦

فالجمادات وإن لم تكن ناطقة فحالتها وهيئتها تفيد الاعتبار والعلم بوجودها وما تحتملها من الدلالات والآيات.

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان الاعتقاد:

بيان الاعتقاد: ارتبط ابن وهب الاعتقاد بالاعتبار، لأنه إذا حصل بيان الاعتبار للمتفكر صار عالماً بمعاني الأشياء، وكان ما يعتقد من ذلك بياناً ثانياً غير ذلك البيان" لأن "الأشياء إذا تبينت بذواتها للعقول، وترجمت عن معانيها للقلوب، صار ما ينكشف المتبين من حقيقتها معرفة وعلماً مركوزين في نفسه"(١) فالاعتقاد لا يتم إلا بالاعتبار، وتعتبر مرحلة الاعتبار بمثابة البنية العميقة لفهم البيان.

وأما عن وجه الاتفاق والاختلاف بينه وبن الجاحظ في هذا الوجه، فلا يخرج هذا العنصر عن مما سماه الجاحظ (النصبة) لما قد أشارت الدراسة إليه في عنصر الاعتبار، ونجد عند ابن وهب أيضا ارتباطه بين بيان الاعتقاد والاعتبار، وإن كان ثمت افتراق بينهما فلا تزيد على تقسيم ابن وهب للعنصر إلى ثلاثة أضرب: "فمنه حق لا شبهة فيه، ومنه علم مشتبه يحتاج إلى تقويته بالاحتجاج فيه، ومنه باطل لا شك فيه"(٢)

ثم استمر في توضيح ذلك العنصر قائلا: "فأما الحق الذي لا شبهة فيه، فهو علم اليقين، واليقين ما ظهر عن مقدمات قطعية، كظهور الحرارة للمتطبب عند توقد اللون...أو عن مقدمات ظاهرة في العقل، كظهور تساوي الأشياء إذا كانت متساوية لشيء واحد... وكل خبر أني على التواتر من العامة أو التواتر من الخاصة، أو سمع من الأنبياء والأئمة، وكل هذا يوجب العلم ومن شك في شيء منه كان آثماً... فأما المشتبه فهو الذي يحتاج إلى التثبت فيه، وإقامة الحجة على صحته، فكل نتيجة

---

(١) البرهان في وجوه البيان، ص٨٦

(٢) المرجع السابق، ص٨٦

ظهرت عن مقدمات غير قطعية، ولا ظاهرة العقل بأنفسها، ولا مسلمة عند جميع الناس، بل تكون مسلمّة عند أكثرهم، ويظهر للعقل تغيرها فتغير الفحص عنها، والاستدلال عليها؛ وذلك كرأي كل قوم في مذاهبهم، وما يحتجون به لتصحيح اعتقاداتهم ونحلهم"[١] وهنا ظهرت قوة الاحتجاج بسلطة الإيديولوجيا، حيث جاء بما يدْعم منهجه في الاستدلال.

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان العبارة:

بيان العبارة: أشار ابن وهب في المقدمة إلى أن بيان العبارة يشترك فيه صاحب البيان مع غيره لإيصال فكرة أو ترسيخ معتقد "ولما كان ما يعتقده الإنسان من هذا البيان، ويحصل في نفسه منه غير متعد له إلى غيره وكان الله عز وجل قد أراد أن يتمم منه فضيلة الإنسان خلق له اللسان، وأنطقه بالبيان، فخبر به عما في نفسه من الحكمة التي أفادها، والمعرفة التي اكتسبها، فصار ذلك بياناً ثالثاً أوضح مما تقدمه، وأعم نفعاً لأن الإنسان يشترك فيه مع غيره، والذي قبله إنما ينفرد به وحده، إلا أن البيانين الأولين بالطبع، فهما لا يتغيران وهذا البيان والبيان الآتي بعده بالوضع فهما يتغيران بتغير اللغات، ويتباينان بتباين الاصطلاحات"[٢] فاختلاف اللغة مؤدٍ إلى تباين أسلوب التعبير، ولا يحصل فهم الخطاب في أية لغة إلا بمعرفة أساليب خطابها، "وللغة العربية – التي نزل بها القرآن، وجاء بها عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم البيان – وجوه وأقسام، ومعان وأحكام متى لم يقف عليها من يريد تفهم معانيها، واستنباط ما يدل عليه لفظهما، لم يبلغ مراده، ولم يصل إلى بغيته[٣] وذلك

(١) البرهان في وجوه البيان، ص٨٧

(٢) المرجع السابق، ص٥٨

(٣) المرجع السابق، ص٩٣

مثل: التشبيه والاستعارة، والاشتقاق، والنحت وغير ذلك من صور البيان في اللغة العربية.

وأما العبارة التي ذكرها ابن وهب هي نفسها "اللفظ" عند الجاحظ، لأنك لا تلاحظ أي فرق بينهما، إلا أن الجاحظ أشار إلى أن "الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف"[١] ولعلّ استعماله لمفردة "اللفظ" راجع إلى أصوله الفكري لنصرة اللفظ على حساب المعنى.

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان الكتاب:

بيان الكتاب: جميع ما ذكر من أوجه البيان "مقصور على الشاهد دون الغائب، وعلى الحاضر دون الغابر، وأراد تعالى أن يعم بالنفع في البيان جميع أصناف العباد، وسائر آفاق البلاد، وأن يساوي فيه بين الماضين من خلقه والآتين، والأولين والآخرين؛ ألهم عباده تصوير كلامهم بحروف اصطلحوا عليها، فخلدوا بذلك علومهم لمن بعدهم، وعبروا به عن ألفاظهم، ونالوا ما بعد عنهم..."[٢] والجاحظ يقول "الكتاب يقرأ بكل مكان، ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوز إلى من بعده"[٣] فهذه إشارة إلى أن الكتابة وسيلة لنقل الأفكار والآراء، وقسم الكتّاب إلى خمسة أقسام باعتبار الاختصاص:" كاتب خط، وكاتب عقد، وكاتب حكم، وكاتب تدبير؛ وكاتب لفظ ولكل واحد من هؤلاء مذهب من الكتابة يخالف مذهب غيره.[٤]

---

(١) البيان والتبيين، ١/٨٤

(٢) البرهان في وجوه البيان، ص٢٥٦

(٣) البيان والتبيين، ١/٨٥

(٤) البرهان في وجوه البيان، ص٢٥٦

لم يكن هناك أي اختلاف بين (الخط) عند الجاحظ و(الكتابة) لدا ابن وهب الكاتب، وقد أشار ابن وهب في مقدمته لأهمية الكتابة وكنهها، وأنها تصاغ حسب الغرض، وقد عدّ من أقسام الكتّاب (كاتب عقد)، وذكره الجاحظ ضمن أنواع البيان كما أسلف ذكره.

إن أوجه البيان التي ذكرها ابن وهب الكاتب ما هي إلاّ إعادة ما ذكره الجاحظ عن أنواع البيان، وإنما يختلف تناول ابن وهب لها عن تناول الجاحظ من حيث الترتيب المنطقي والمنهجي، وأما ما ذكره من سؤال سائل ليضع له أقسام البيان لخلل ادّعى وقوعه في "البيان والتبيين"، هذه الدراسة تؤكد أن ابن وهب لم يأت بغير ما جاء به الجاحظ، وإنما استفاد منه وأعاد تنظيم هيكله –والعلم رحم بين أهله–، وهذا لا يحط من قيمة مشروعه، وإن دلّ على شيء فإنما يدل على فطنته ورسوخه في العلم، والكمال لله عز وجل.

خاتمة:

أخيراً توصلت الدراسة إلى عدّة نتائج، وهي:

- أن ابن وهب الكاتب استدرك على الجاحظ في وضع أقسام البيان بإعادة التقسيم والترتيب المنهجي.
- استعان ابن وهب في تناوله للبيان العربي وتقسيمه بالمرجعيات الأصولية والمنطقية، مركزاً على ضرورة معرفة أساليب البيان العربي للوصول إلى مكامن دفينة لتفسير الخطاب البياني.
- اهتمام الجاحظ في المقدمة بالجانب الصوتي دلالة على سلطة الأصول الفكرية في توجيه المؤلف، وهذا التصور مستمد من أصول الفكر الاعتزلي عن كلام الله عز وجل.

التوصية:

توصي هذه الدراسة بالاهتمام بمقدمات الكتب دراسة ومقارنة، لأنها تحمل معارف واسعة، ودراستها تفتح آفاق المعرفة للمتلقي، كما توصي الدراسة بالنظرة الإيجابية للآراء والإنصاف في تحليلها ونقدها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، (ب.ط)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

٢. ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد، طبقات علماء الحديث، تح: أكرم البوشي، ط٣، الرسالة، بيروت – لبنان، ١٩٩٦م.

٣. ابن منظور، لسان العرب، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤هـ.

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق، تح: روحية النحاس، ط١، دار الفكر– دمشق – سوريا، ١٩٨٤م.

٥. ابن وهب الكاتب، إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تح: د.حفني شرف، (ب.ط)، الرسالة، القاهرة، ١٩٦٩م.

٦. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ب.ط)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٧. الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، ط١، بيروت – جزيران–، ١٩٨٧م.

٨. الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، (ب. ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٩. الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط١، مكتبة ابن سينا– القاهرة، ٢٠١٠م.

١٠. الداوودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، (ب.ط)، دار الكتب العلمية – بيروت، (ب.ت).

١١. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

١٢. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ط٥، تح: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، ١٩٩٩م.
١٣. الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
١٤. سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، تح: فريق من الباحثين، ط١، دار الألوكة للنشر– الرياض–، ٢٠٢١م.
١٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل (ب. ط)، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا، (ب.س).
١٦. الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تح: أحمد شاكر، ط١، مصطفى البابي الحلبي وأولاد – مصر، ١٩٣٨م.
١٧. العسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، ط٢، مؤسسة الأعلمي بيروت – لبنان، ١٩٧١م.
١٨. العسقلاني، تهذيب التهذيب، ط٢، جمعية دار البر – الإمارات العربية المتحدة، دبي، ٢٠٢١م.
١٩. الفراهيدي، خليل بن أحمد، العين، تح: المخزومي والسامرائي، (ب.ظ)، دار ومكتبة الهلال، ١٤٣١هـ.
٢٠. الكتبي، محمد ابن شاكر، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، ط١، دار صادر – بيروت، ١٩٧٤م.
٢١. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، (ب.ط)، دار إحياء التراث العربي بيروت، (ب.ت).
٢٢. مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، ط٢، دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، ١٩٧٢م.

الرسائل العلمية والمراجع الإلكترونية:

رسالة ماجستير، مفهوم الشعر عند ابن وهب الكاتب، للطالبتين؛ فورار تفاحة وكرباح حبيبة، مقدمة إلى جامعة ابن خلدون -تيارت- بالجمهورية الجزائرية، ٢٠١٩م.

الرابط، https://arabic-keyboard.info/books، بتاريخ: 06/12/2024، الساعة السابعة مساء.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١٩٢٨
مقدمة:	١٩٣٠
التمهيد: نبذة مختصرة عن الجاحظ وابن وهب الكاتب وأهمية مقدمتيهما:	١٩٣٢
المبحث الأول: البيان وأسسه في مقدمتي "البيان والتبين" وكتاب "البرهان":	١٩٣٨
المطلب الأول: مفهوم البيان العربي:	١٩٣٨
المطلب الثاني: أدوات البيان عند الجاحظ:	١٩٤٢
المطلب الثالث: أنواع البيان عند ابن وهب الكاتب:	١٩٤٤
المبحث الثاني: الموازنة بين أنواع البيان وأسسه عند الجاحظ وابن وهب:	١٩٤٧
المطلب الأول: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان الاعتبار:	١٩٤٨
المطلب الثاني: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان الاعتقاد:	١٩٥٠
المطلب الثالث: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان العبارة:	١٩٥١
المطلب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجاحظ وابن وهب في بيان الكتاب:	١٩٥٢
خاتمة	١٩٥٤
قائمة المصادر والمراجع	١٩٥٥
فهرس الموضوعات	١٩٥٨